أوراق إستراتيجية

December, 2005

The Moment of Truth for Syria[1]

Dennis Ross[2]

لحظة الحقيقة لسوريا

خلال 30 سنة تقريبا من حكم حافظ الأسد،سيطرت سوريا على لبنان و استعملت المجموعات الارهابية: حزب الله ،حماس و الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين،حتى تزيد الضغط (و أحياناً تخفضه) على الاخرين في المنطقة، وانّ ابنه بشارة ،الذي أصبح رئيساً لسوريا لخمس سنوات مضت، يبدو انه يفتقر إلى مكر أبيه و إلى فهم الحدود التي ينبغي عليه احترامها.

وبالنتيجة فان سوريا معزولة بالكامل داخل الشرق الأوسط و خارجه. وحتى الجزائر ،البلد العربي الممثل في مجلس الأمن الدولي، انضمت إلى التصويت بالإجماع في 31 تشرين الأول بطلب التعاون السوري في التحقيق الدولي في جريمة اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الاسبق السيد رفيق الحريري.

وبدأت الضغوطات...

يبدو واضحا ان سوريا تحت ضغط هائل . و ان ديتليف ميليس، المفتش الالماني السابق المكلف بالتحقيق في جريمة الاغتيال لحساب الامم المتحدة، اشار في تقرير اولي الى اشتراك الأجهزة الامنية السورية في المؤامرة لقتل الحريري، و بينما لم يتهم ميليس صراحةً و رسمياً افراد عائلة الاسد بانهم كانوا جزءا من المؤامرة، فان اسماء آصف شوكت و ماهر الاسد (صهر الرئيس الاسد و رئيس الاستخبارات السورية، واخيه رئيس الحرس الوطني) طُمِسا من البيان المنشور للتقرير لكنهما ظهرا في مسودة، استطاعت المؤسسات الاخبارية قراءتها.

ان هناك شكاً صغيراً بانهما الآن مشتبه بهما في التحقيق، و هذا يخلق مشكلة جوهرية للنظام. وان قرار مجلس الامن يفوض رسمياً التعاون (بما فيه الاعتقال، واذا طلب أيضاً،النقل خارج البلد لاجل استجواب المشتبه بهم المحتملين) و هكذا يمكن ان يدعى الاسد ليحول اقاربه للاستجواب و، الاسوأ، اذا استنتج ميليس ان شوكت و ماهر مسؤولان عن الاغتيال ، فان الرئيس سيواجه طلبا دوليا بتحويل اخيه و صهره الى محكمة غير سورية للمحاكمة.

وقبل الاشارة الى استنتاجات ميليس الاولية، فان العديد من تقارير الاخبار العالمية اشارت الى ان نظام الاسد كان يرسل اشارات جس نبض لادارة بوش لصنع صفقة على نسق النموذج الليبي لصفقة طائرةPan Am رحلة رقم 103. وفي تلك الصفقة أُحيلَ العناصر الأمنيّون المنفّذون الى محاكمة واعتُبِرت ليبيا مسؤولة عن انزال الطائرة.

وبهذا الربط، فان انتحار غازي كنعان، وزير الداخلية السوري عشية تقرير ميليس كان جزءاً محتملاً لردٍّ مخطط له. واذا احتاجت العناصر القيادية للنظام السوري الى كبش فداء لاجل انقاذ انفسهم، فان كنعان (الذي ادار لبنان اساسا بصفته القائد السوري العام هناك) يمكن اعتباره مصداقاً واقعيّاً لذلك. و لكن ميليس لم يركز ابدا على كنعان في المؤامرة.. هذه هي حيرة الاسد.

اذا فشل في التعاون، فان الرئيس يعلم بان سوريا يمكن ان تواجه فرض العقوبات من الامم المتحدة ، وهذا التّطلّع مقلق بعض الشّيء، خصوصاً مع اقتصاد فاشل في الأساس. و الى الان فانّ البديل الوحيد لذلك هو اجبار اخيه و صهره على الوقوف امام محاكمة، مما قد يشكل بالنسبة اليه تهديداً شخصيّاً.

---

[1] The Washington Institute/9-11-2005.

[2] Dennis Ross is counselor at the Washington Institute for Near East Policy, author of The Missing Peace: The Inside Story of the Fight for Middle East Peace, and was U.S. envoy to the Middle East under presidents Bill Clinton and George H.W. Bush.

اذاً ماذا يفعل ؟

الخوف كاستراتيجية...

قد يحاول الاسد ان يتخبط باستراتيجية على اساس الخوف من البديل المُحتَمل لنظامه (الاخوان المسلمون، الاسلاميون السنة الراديكاليون، والذين يظهرون كمجموعة منظمة وحيدة خارج النظام) ويظهران الاخوان المسلمين يخيفون العلمانيين السوريين ، وآخرون في المنطقة كما في المجتمع الدولي .

هل يجب ان ياتي الاخوان المسلمون الى السلطة، ويمكنهم بالتّأكيد دعم التمرد في العراق كما حماس و الجهاد الاسلامي ومتمرّدين آخرين في اعمال ارهاب ضد اسرائيل، ولكن كم يبعد ذلك عن السياسة الحالية لنظام الاسد؟

لقد أشارت وزيرة الخارجية كونداليزا رايس بعد تصويت مجلس الأمن الدولي، الى ان سوريا باتت معزولة و هي بحاجة لان تغير حركتها تجاه العراق، لبنان، واسرائيل. و بالطبع فان رسائلها دلت على ان النظام يمكن ان ينقذ نفسه اذا كان مستعدا لايقاف مساندته للتمرد في العراق، كذلك جهوده المستمرة لزعزعة استقرار لبنان و دعمه لارهاب حماس و الجهاد الاسلامي في اسرائيل.

ربما يرى الاسد ان هذا هو حبل الخلاص و يتحقق من ان عليه ان ينفّذ استراتيجية التحول حتى ينجو . لكنه لم يفعل شيئاً حتى تاريخه. وعلى كل حال ، فان ذللك يؤشر اما لامكانية او لاستعداد لتحول السلوك السوري بطريقة دراماتيكية. وفوق ذلك ، وبالنّظر للتغيير المشتهى للمنطقة، فهل سيسقط المجتمع الدولي طلبه لامكانية المحاسبة لجريمة اغتيال الحريري مقابل هكذا تحول؟

ومن العجيب ان التهديد للنظام اليوم يمكن ان ياتي عبر جهات في داخل سوريا تشعرانه و يسبب العقوبات الدولية المُشاركة، فان على النظام ان يزاح.

ان الخوف من الاخوان المسلمين هو مستبعد لردع انقلاب عسكري، خاصة لان الجيش (العلماني بشكل حيوي) يرى نفسه كحامي لسوريا ضد الاخوان المسلمين. وهكذا فان البديل للفئة العلوية المنسقة للرئيس الاسد قد لا يكون الاخوان المسلمين و لكن نظام علوي – سني بقيادة عسكرية. قد لا يكون ذلك ديمقراطياً، لكنه قد يحث للتخفيف من عزلة سوريا.

في النهاية ، يستطيع الاسد انقاذ نفسه فقط بان يعبّرعن شخصية جديدة، والانقلاب على عائلته ويقف ضد المجموعات الارهابية جداً التي دعمها. هل يُمكن ان يكون الشرق الاوسط اكثر امناً اذا فعل ذلك؟ حتماً، لكن لا تعولوا على ذلك. انّ البديل الأفضل هو انَّ ايام الأسد ربما صارت معدودة، وانَّ المشهد في سوريا قد يبقى غير واضح لبعض الوقت في المستقبل .

ان Dennis Ross هو مستشارفي مؤسسة واشنطن لسياسة الشرق الادنى ، و مؤلف السلام المفقود (The missing peace :The inside story of the fight for Middle East Peace).

كما كان مبعوث الولايات المتحدة للشرق الاوسط اثناء رئاسة بيل كلينتون و جورج بوش ، يذكر دنيس روس الضغوط الشديدة التي تتعرض لها سوريا (و سابقا و تاليا لبنان) منذ اغتيال الرئيس رفيق الحريري . و بغض النظر عن الجريمة و النتائج و حتى الدوافع التى قد " يصل " اليها التحقيق ، فان قائمة المطالب هي نفسها منذ سنوات طويلة .